دعوى الحجيّة والإلهام في العهد القديم

د. ناجي محمد داود سلامة

المقدمة:

ما من شكٍّ أنَّ الصراع بين الحقّ والباطل قديم، ولكل أنصار وأتباع. وأصحاب الحق يمتازون بسهولة العقائد وعمقها ووضوحها، حيث إنها مدعمة بحجج وبراهين دامغة، خلافاً لأنصار الباطل ودعاته، حيث إنَّ عقائدهم باطلة، وحججهم داحضة، كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء.

ولما كان دعاة التنصير - في عصرنا الذي نعيش - جدوا واجتهدوا في نشر ديانتهم بوسائل وأساليب مختلفة - حتى في ديار أهل الإسلام - زاعمين أن كتابهم المقدس - الذي تقوم دعوتهم على أساسه ويستشهدون به على مخالفيهم - قد كتب بإلهام «بوحي»، وما دام كذلك فبه تقوم الحجة على الناس.

لذلك، رأيت أن أسهم ببحث متواضع في الكشف عن بطلان هذه الدعوى - كما فعل سلفنا من علماء الإسلام الأفاضل عبر العصور - متوخياً الاختصار غير المخل؛ ليتمكن القارىء من معرفة الحقّ بأقصر طريق دونما كلل أو ملل.

فجعلت تمهيدا بين يدي البحث يتعلق بموقف المسلمين من الأخبار والعقائد التي تضمنتها كتب أهل الكتاب، كما عرّفت بكتبهم الموجودة بين أيديهم الآن. ثمّ عرضت عقيدتهم في كتابهم المقدس من خلال أقوال علمائهم.

ثُمّ شرعت بعد ذلك بإيراد الأدلة على بطلان دعوى الإلهام (الوحي) في العهد القديم.

التمهيد:

* موقف المسلمين من الأخبار والعقائد التي تضمنتها كتب أهل الكتاب:
الأخبار والعقائد التي جاءت في كتب أهل الكتاب: إمّا أن تكون:

موافقة لما بين أيدينا من حق مثل: أنَّ الله - تعالى - أرسل إلى البشر رسلاً، وأنه خلق ملائكة، وأنَّ إبراهيم رسولاً.. فهذه العقائد نصدق بها، لأنها ثابتة عندنا في الكتاب والسنة.

* وإما أن تكون مخالفة لما بين أيدينا من حقّ مثل: ما تضمنته كتبهم من أوصاف لا تليق بالله تعالى، ومن أنَّ هارون هو الصانع للعجل، وأن المسيح صلب وقتل. فهذه العقائد والأخبار نقطع بكذبها لمخالفتها الحق الذي بين أيدينا.

* وإمّا أن تكون هذه الأخبار والعقائد غير موجودة لا في الكتاب ولا في السنة - لا بنفي ولا إثبات - فمثل هذه الأخبار لا نصدقها ولا نكذبها، خشية تصديق الكذب أو تكذيب الصدق. فمثلاً ورد في كتبهم أسماء الكثير من الأشخاص الذين هم يعتقدون نبوتهم مثل: أشعياء، دانيال، حجّي، صموئيل... وهذه الأسماء لم ترد عندنا لا في الكتاب ولا في السنة. فلا نؤمن مثلا: أن أشعياء بعينه نبي، ولا ننفي ذلك، فيحتمل أن يكون نبياً، ويحتمل أن لا يكون[١].

التعريف[٢] المجمل بكتبهم الموجودة بين أيديهم

يقسم النصارى[٣] كتبهم المقدسة إلى قسمين:

---

(١) انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١: ٣١٩، ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣: ٩٥، ابن كثير: مقدمة تفسير القرآن العظيم ١: ١٤، الهندي: إظهار الحق ٢: ٣٨٨

(٢) هذا التعريف المجمل هو من وجهة نظر أهل الكتاب

(٣) حيث يؤمن النصارى بكتب اليهود (العهد القديم) إضافة إلى العهد الجديد، خلافا لليهود الذين ينكرون العهد الجديد، لأنهم لا يعترفون بنبوة المسيح أصلا.

العهد القديم، والعهد الجديد. ويطلقون على كلا العهدين: الكتاب المقدس.

أولا: التعريف بالعهد القديم

* ويقصدون به تلك الأسفار (الكتب) التي يزعمون أنها وصلت إليهم بإلهام من زمن موسى - عليه السلام - إلى قبيل زمن المسيح عليه السلام.

* واختلف أهل الكتاب في عدد أسفاره:

فجمهور اليهود - ومعهم البروتستنت من النَّصارى - يرون أن العهد القديم يشتمل على تسعة وثلاثين سفراً.

والكاثوليك، يزيدون على ذلك سبعة أسفار أخرى: إذ يرون أنَّ العهد القديم يشتمل على ستّة وأربعين سفراً. وهذه الأسفار السبعة الزائدة لا يعدّها جمهور اليهود ولا البروتستنت مقدسة، وبالتالي فهي غير واجبة التسليم عندهم.

ويرى السامريّة من اليهود: أنَّ العهد القديم يشتملُ على سبعة أسفار فقط.

وهي غير الأسفار السبعة التي أضافها الكاثوليك.

ويرى أهل الكتاب أن التوراة: جزء أساسي من العهد القديم.

والتوراة لفظ عبري معناه: التعليم والشريعة.

وأن لفظ التوراة إذا أطلق ينصرف إلى أسفار موسى الخمسة (الناموس) وهي:

سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر الأحبار(اللاويين) وسفر العدد، وسفر التثنية. وهم ينسبون تأليف هذه الأسفار الخمسة إلى موسى - عليه السلام - وأحيانا - ومن باب التوسّع في اللفظ - يطلق لفظ التوراة على كافة[١] أسفار العهد القديم.

---

(١) وهذا موجود في كتب علماء الإسلام السابقين، حيث يقولون مثلا: (جاء في التوراة كذا...) وإذا النص موجود في غير التوراة من أسفار العهد القديم، فقولهم هذا: هو من قبيل التوسع في اللفظ.

والسامريّة من اليهود يؤمنون بأسفار موسى الخمسة (الناموس) إضافة إلى سفري يشوع بن نون، والقضاة.

ويقع الزبور ضمن أسفار العهد القديم التي يؤمن بها أهل الكتاب عدا السامرية، ويسمّونه سفر المزامير.

ثانيا: العهد الجديد

المقصود به كما يرى النصارى: تلك الأسفار التي يزعمون أنها وصلت إليهم بإلهام الروح القدس(١)، بواسطة تلامذة المسيح - عليه السلام - وغيرهم(٢).

ويشتمل هذا العهد على سبعة وعشرين سفراً، منها الأناجيل الأربعة، وهي جزء أساسي من هذا العهد.

والإنجيل لفظ يوناني معرب معناه: البشرى السارة، أو الخبر الطيب. وينصرف لفظ الإنجيل إذا أطلق: إلى الأناجيل الأربعة، وهي:

إنجيل متى - إنجيل مرقس - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا.

وأحيانا - من باب التوسّع في اللفظ - يطلق لفظ الإنجيل على كلّ أسفار العهد الجديد(٣).

---

(١) الإله عند النصارى: واحد ذو ثلاثة أقانيم: أقنوم الأب - «الله» أقنوم الابن «المسيح» أقنوم الروح القدس. وعلى هذا فالروح القدس عندهم إله، وليس هو جبريل - عليه السلام - إذ أن جبريل عندهم ملك من الملائكة. انظر قاموس الكتاب المقدس: (٢٣٢، ٤١٤)، وانظر المرجع نفسه (٢٤٥) حيث التعريف بجبريل - عليه السلام.

(٢) حيث يوجد في العهد الجديد رسائل لغير تلامذة المسيح باعتراف النصارى أنفسهم، فبولس وحده له أربع عشرة رسالة، ولوقا - تلميذ بولس - ينسب إليه الإنجيل الثالث، وسفر أعمال الرسل، وهما ليسا من تلامذة المسيح - عليه السلام -

(٣) انظر التعريف بكتبهم: الهندي: إظهار الحق (١: ٩٨) وما بعدها، وافي: على عبدالواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام (١٣) وما بعدها، قاموس الكتاب المقدس (٧٦٢، ٧٦٤ - ٧٦٧).

دعوى النصارى حول الكتاب المقدس* بعهديه: القديم، والجديد.

يرى النّصارى أن الكتاب المقدس واجب التسليم، وأنّ ما اشتمل عليه من عقائد وأخبار.. يجب تصديقها والإيمان بها. والسبب في ذلك إيمانهم بأن هذا الكتاب قد كتب بإلهام (بوحي) الروح القدس لأولئك الأشخاص الذين قاموا بكتابته وتدوينه.

لذا نجدهم يحتجّون على مَنْ خالفهم - وبخاصّة المسلمين - بكتب العهدين: القديم والجديد.

بل يحتجون أيضا - من باب الإلزام - ببعض آيات القرآن الكريم التي ظنوا أنها تفيد صِحّة وصدق ما بين أيديهم من كتب.

ومع ما قيل في الكتاب المُقدَّس من كلام كثير مدعّم بالأدلة على عدم الإلهام فيه - وبالتالي عدم حجيته - إلا أنهم لا يلتفتون إلى تلك الأدلة، ولا يعطونها الوزن الذي تستحقه.

فالكنيسة الكاثوليكية تتمسَّك بشدة بعقيدة الإلهام، وأن العهدين القديم والجديد قد كتبا بإلهام من الروح القدس. أي: بوحي من الله - عزّ وجل.

كما أن طائفة المحافظين من البروتستنت، وكذلك الأرثوذكس يشاركون الكاثوليك هذا الرأي.

يقول تيموئي دير - مبيناً عقيدة الأرثوذكس -: «إنَّ الكتاب المقدس هو التعبير عن وحي الله للإنسان، وأن على المسيحيين أن يكونوا دائماً أهل كتاب...»[(١)].

وفي قاموس الكتاب المقدس ما يؤكّد هذه العقيدة عند النصارى، فقد جاء فيه:

«فالوحي يعني: أن الله هو مصدر الكتاب المقدس، وأن أشخاص الكتاب

(*) لأن ما سننقل من كلامهم لا يقتصر على العهد القديم فقط، بل على العهدين معا: لذا كان العنوان حول الكتاب المقدس بعهديه.

(١) انظر هذه الآراء في: عبدالوهاب، أحمد: المسيح في مصادر العقائدية المسيحية (١٦).

المقدس لم يتكلَّموا باسمهم الشخصي. وهذا يعني أن الروح القدس أوحى لكتّاب الأسفار المقدسة ما كتبوا، وأرشدهم فيما كتبوا»[١].

وجاء فيه أيضا: أن الكتاب المقدس «مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه، وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموع النبوات عما سيكون حتى المنتهى، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع بني البشر في كل الأزمنة. ومع أن الأسفار التي يتألف منها الكتاب تختلف من جهة وَقْت كتابتها، وأسلوب الكتابة نفسه، فإنها لا تخرج عن كونها نظاماً واحداً مؤسساً على وحي واحد، رغم التنوعات التي لا بُدَّ منها في الأحوال المختلفة التي كتب فيها الكتاب. والكتاب أصل الإيمان المسيحي ومصدره، وهو **خال من الأخطاء والزلل**»[٢].

كما جاء فيه: «ولما كتب الآباء والأنبياء والرسل أسفار الكتاب المقدس كانوا مسوقين من الروح القدس، والذي أرشدهم فيما كتبوا، وحفظهم من الخطأ، وفتح بصائرهم، ليكتبوا عن أمور مستقبلية».

فمن خلال هذه النصوص يتبين أنهم يعدّون الكتاب المقدس - بعهديه - قد كتب بوحي من الله تعالى، وأنه خال من الأخطاء والزلل، وهذا يعني أَنَّهُ حُجَّة ويجب التسليم بكل ما جاء فيه.

الأدلة على بطلان دعوى الحجية والإلهام في العهد القديم

عرفنا فيما سبق أن النصارى يؤمنون بالعهد القديم - تماما - كإيمانهم بالعهد الجديد، لذا كان من الأهمية بمكان بيان بطلان دعوى الإلهام والحجية في العهد القديم. ومن الأدلة على ذلك:

أولا: فقدان السند المتصل للتوراة والعهد القديم

إنَّ أي كتاب سماوي لا بد أن تتوفر فيه شروط، حتى يكون حجة واجب التسليم، ومن هذه الشروط:

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (١٠٢٠ - ١٠٢١)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٧٢٦ - ٧٦٣)

وجود الدليل على أنه كتب بواسطة شخص يوحى إليه، وأن يصل ذلك الكتاب إلى الناس بسند متصل على الأقل[1].

وبناء على ذلك يجد المرء نفسه أمام هذين السؤالين:

هل أسفار العهد القديم المنسوبة إلى أشخاص معينين هي من تأليف هؤلاء الأشخاص حَقّاً؟

أي: هل هناك سند مُتّصل[2] يثبت أنهم قاموا بتأليفها؟

هل ما تضمنته هذه الكتب كان بوحي من الله - تعالى - إلى هؤلاء الأشخاص؟

إن الإجابة الدقيقة على مثل هذين السؤالين هي: أن السند المتصل لكتبهم مفقود، وأن ما تضمنته كتبهم لم يكن بوحي من الله - تعالى - وهذا الجواب هو الذي تدعمه الأدلة. ويتضح ذلك من خلال الآتي:

ما مِن شك أن حوادث حصلت في تاريخ بني إسرائيل أثَّرت تأثيراً بالغاً على العهد القديم[3]، والتوراة جزء أساسي منه - كما هو معلوم - فمن دخولهم الأرض المقدسة إثْر موت موسى - عليه السلام - إلى زمن شاول (طالوت) ارتد بنو إسرائيل سبع ردّات، فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا عبادة الأصنام، ولا يشكّ عاقل في أنَّ لذلك أثراً على كتبهم، وبخاصة وهم يعيشون في بلد صغير.

ثم ملكهم داود - عليه السلام - بعد شاول - ونسبوا إليه ما لا يليق. ثم ملكهم سليمان - عليه السلام - فبنى الهيكل، وبنى بداخله المحراب، وهيأ مكانا في وسط البيت، ليضع فيه التابوت، إذ المفروض أن تكون التوراة فيه[4]. فجمع سليمان - عليه السلام - شيوخ إسرائيل في العيد

---

(١) انظر الهندي: إظهار الحق (١: ١٠٩)، أبو زهرة: محاضرات في النصرانية (٩٤)

(٢) اتصال السند: أن يتلقى كل راوٍ ممّن روى عنه مباشرة، أو حكماً.
انظر تفصيل ذلك.. العثيمين، محمد صالح: مصطلح الحديث (١٣ - ١٤)

(٣) أنظر تفصيل ذلك في ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٩٠) وما بعدها.

(٤) سفر التثنية صح: ٣١: ٩ - ١٠، ٢٦

لوضع التابوت في المحراب، وفتح التابوت بعد وضعه في مكانه، وإذا التوراة ليست فيه، وليس فيه سوى لوحي الحجر(١)، حيث وضعهما موسى في حوريب، حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر.

والحاصل أنَّ التوراة فقدت قبل عهد سليمان - عليه السلام - لأنَّه لم يجد في التابوت سوى لوحي الحجر فقط(٢).

ثم إن سليمان - عليه السلام - قد ختم عمره بالكفر - على حسب ما افترت كتبهم - وبالتالي لا حاجة له - عندئذ - بالتوراة.

وبموته - عليه السلام - افترق بنو إسرائيل، وانقسموا إلى مملكتين: المملكة الجنوبية (مملكة بيت المقدس). وتولى أمر ملكها سبطا يهوذا وبنيامين.

المملكة الشمالية (وعاصمتها السامرة) وفيها بقية الأسباط.

حال المملكة الشمالية(٣). «مملكة الأسباط العشرة».

قال ابن حزم رحمه الله: «وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط، بل كانوا كلهم معلنين عبادة الأوثان، مخيفين للأنبياء، مانعين القصد إلى بيت المقدس، لم يكن فيهم نبي - قط - إلاَّ مقتولاً، أو هارباً مخافاً. وأنهم حكموا مدة مائتي عام وسبعين عاماً، وأنه لم يظهر فيهم قط إيمان ولا يوماً واحداً فما فوقه، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر، ولا رسم، ولا أثر، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً. مضى على ذلك جميع عامتهم، وجميع ملوكهم، وهم عشرون ملكا» أ.هـ.

ثم جاء الغزو الآشوري، واستأصل مملكتهم ونقل الشعب الإسرائيلي إلى

---

(١) سفر الملوك الأول صح ٨ : ١ - ٩

(٢) انظر الهندي إظهار الحق «٢: ٥٩٩»، طويلة: عبدالوهاب: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق (٦٨)

(٣) انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٩٤) وما بعدها، الهندي: إظهار الحق (٢: ٥٩٨) وما بعدها.

أجزاء متفرقة في الإمبراطورية الآشورية، وكان ذلك سنة ٧٢٢ق.م[١].

حال المملكة الجنوبية [٢] «مملكة بيت المقدس»

قال ابن حزم - بعد أن ذكر أسماء ملوك هذه المملكة، وذكر حالهم من كفر وإيمان - قال: «وظهر - يقيناً - أن بني يهوذا، وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان - عليه السلام - أربعمائة سنة غير أعوام[٣].

ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان بن داود - عليه السلام - تسعة عشر رجلاً، ومن غيرهم امرأة[٤]، تموا بها عشرين ملكاً، كانوا كفاراً معلنين عبادة الأوثان، عدا خمسة منهم - فقط - كانوا مؤمنين، ولا مزيد.

ثم ذكر أن مجيء هؤلاء الملوك المؤمنين كان على فترات مختلفة، ظهر فيها إيمان بعد كفر، ثم كفر بعد إيمان، وهذا على النحو التالي:

ست وستون سنة اتصل فيهم الدين ظاهراً، بعد ثلاث وعشرين سنة اتصل فيها الكفر ظاهراً، وعبادة الأوثان.

ثم ثمانية أعوام، ليورام بن يهوا شافاط، لم تعرف حقيقة دينه، فيترجّح إيمانه بسبب دين أبيه.

ثم اتصل الكفر ظاهراً في ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عاما..

ثم إيمان مدة تسع وعشرين سنة.

ثم اتصل الكفر في عامتهم وملوكهم سبعاً وخمسين سنة.

ثم ولي يوشا المؤمن إحدى وثلاثين سنة.

ثم لم يل بعده إلا كافر، مدة اثنين وعشرين عاماً وستة أشهر. منهم: من نشر أسماء الله - تعالى - من التوراة، ومنهم: من أحرقها، وقطع أثرها.

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس ٤٤٩، ٥٧٨

(٢) نظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٣) دامت مملكة يهوذا ٣٨٩ سنة، انظر قاموس الكتاب المقدس (١٠٨٨).

(٤) اسمها عثلية، وهي ابنة عمري ملك المملكة الشمالية، حكمت ست سنوات من: ٨٤٢ - ٨٣٦ ق.م، انظر قاموس الكتاب المقدس (٩١٧، ١٠٨٨)

ولم يوجد بعد هؤلاء إلا الكفرة، وقتلة الأنبياء، حتى انقطع أمرهم بغارة «بخت نصر» الملك البابلي على بيت المقدس، حيث سباهم كلهم، وهدم الهيكل، واستأصل أثره.

ثم كتب لهم عزرا التوراة بعد سبعين سنة من خراب بيت المقدس.

**** أهل الكتاب يعترفون أن عزرا هو الذي أعاد كتابة أسفار العهد القديم.**

جاء في قاموس الكتاب المقدس التعريف بعزرا، ونشاطه الديني بعد عودته من السبي، وأنه نال إعجاب اليهود والمعاصرين له من نبلاء وكهنة، بل إن اليهود الذين جاءوا بعده يعدونه زعيماً لهم بعد موسى - عليه السلام -، كما يعدونه مؤسس نظم اليهودية المتأخرة التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد؛ لذا لقبوه بالكاتب والكاهن، ذلك لأن اليهود يعتقدون أنه هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها[١].

ونقل صاحب إظهار الحق عن علمائهم: أن عزرا كتب مجموع أسفار العهد القديم بإلهام. فقد نقل عن كلمنس إسكندر يانوس ما نصه: «إن الكتب السماوية ضاعت، فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى».

وعن تر تولين قوله: «إن المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل على أورشليم».

كما نقل عن تهيو فلكت قوله: «إنَّ الكتب المقدسة انعدمت رأساً، فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام»[٢].

ما كتبه عزرا لم يحفظ

ينقل صاحب إظهار الحق عن عالم كاثوليكي ما نصّه[٣]:

«اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ كتب العهد القديم

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس (٦٢١)

(٢) الهندي: إظهار الحق (٢: ٤٤٩)

(٣) إظهار الحق (٢: ٤٤٩)

ضاعت من أيدي عسكر بخت نصر»، ولمّا ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة أنتيوكس»[١].

وجاء في الكتاب الأول للمكابيين ما ملخصه: «لما فتح أنتيوكس ملك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان، بعدما قطعها، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من تلك الكتب - أو يؤدي رسم الشريعة - يقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، فكان يقتل من وجد عنده أي نسخة، أو ثبت أنه أدى رسماً من رسم الشريعة، وتعدم تلك النسخة»[٢]. هذا ويعترف علماؤهم بأنَّ ما ضاع وفقد من كتبهم المقدسة لا يقل عن عشرين[٣].

ومع أن هذا العالم الكاثوليكي يرى أن ما كتبه عزرا قد فقد في حادث أنتيوكس فإن أهل الكتاب ما زالوا ينسبون إلى عزرا جمعه للعهد القديم، وأنه أعاد جمعه وتأليفه بإلهام.

ما كتبه عزرا ليس بإلهام.

وبصرف النظر عن رأي هذا العالم الكاثوليكي، فإن عزرا لم يكن ملهماً فجمهور أهل الكتاب يرون أن سفري أخبار الأيام: الأول والثاني صنفها عزرا بإعانة حجي وزكريا الرسولين، ومع ذلك فقد غلطوا في السفر الأول من أخبار الأيام، واعتذر علماء أهل الكتاب عن ذلك بقولهم: إنَّ عزرا الذي كتب هذا السفر ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أم بنو الأبناء، وأن أوراق النسب التي نقل عنها كانت ناقصة، ولم يحصل له التمييز بين الغلط والصحيح.

---

(١) حكم سوريا من ١٧٥ - ١٦٥ ق.م، وعمل على سحق الديانة اليهودية. قاموس الكتاب المقدس (١٢٦)

(٢) الهندي: إظهار الحق (٢: ٦٠٧)، انظر ما فعل أنتيوكس باليهود، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٩٨)

(٣) الهندي: إظهار الحق (٢: ٥٨٧)

فهذا الكلام من علمائهم فيه اعتراف بأن عزرا لم يكن ملهماً، وإلا لما وقع في الغلط[1].

ولا يقال: إن الكثير من اليهود يحفظون التوراة كما هو الحال عند المسلمين بالنسبة للقرآن الكريم، لا يقال ذلك؛ لأن التوراة كانت مصونة عند الكاهن الهاروني وحده.

وأن الكاهن كان يقرأ لبني إسرائيل ما في التوراة حال اجتماعهم للتقديس فقط، وهذا نص توراتهم، وأن بني إسرائيل لم يكونوا ملزمين بالحضور إلا ثلاث مرات في كل سنة، فكيف يمكنهم حفظها؟!

وأن الكاهن أمر أن يكتب من السفر الخامس - فقط - شيئا يمكن أن يقرأه الملك كل يوم، وهذا لا بد أن يكون شيئاً يسيراً، وقد علم أن ملوكهم بعد سليمان - عليه السلام - لم يلتفتوا إلى ذلك سوى خمسة منهم، وأن توراتهم نصت على أن سورة واحدة هي التي أمر موسى عليه السلام بكتابتها وتعليمها لبني إسرائيل[2].

جاء في كتاب إفحام اليهود للمهتدي[3] - السموأل بن يحيى المغربي -: «وقد صان موسى التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم. وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي، حيث جاء في التوراة: وكتب موسى هذه التوراة، ودفعها إلى الأئمة بني ليوي. ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة، يقال لها: «ها أزينو» فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل. وأن الله قال لموسى عن هذه السورة: «وتكون لي هذه السورة شاهداً على بني إسرائيل. وقال عنها أيضا: لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم.. وهذا يعني أن الله - تعالى - علم أن غيرها من السور تنسى. فأمابقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون - عليه السلام -

(١) الهندي: إظهار الحق (٢: ٣٨٦)

(٢) انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٣٠٠ - ٣٠١)، وسيأتي بعد قليل - إن شاء الله - توثيق هذه السورة من الكتاب المقدس، حيث تسمى بالنشيد.

(٣) حبر يهودي أكرمه الله بالإسلام توفي سنة ٥٧٠هـ تقريبا.

وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم[1].

وهؤلاء الأئمة الهارونيون - الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها - قتلهم بخت نصر على دم واحد، يوم فتح بيت المقدس.

ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً..

فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن»[2].

من خلال ما سبق يتبين أن حوادث الردة في بني إسرائيل منذ دخولهم الأرض المقدسة، وكذلك انقسامهم إلى مملكتين بعد موت سليمان - عليه السلام - وابتعادهم عن الدين وعبادتهم الأوثان، واستئصال مملكتيهم على يد الآشوريين، ثم البابليين، ثم ما فعله الملك أنتيوكس بهم..

كل هذا كان له أكبر الأثر على كتبهم، مما أفقدها حجيتها وقدسيتها، وفقدان اتصال السند لها، وأنها ليست من تصنيف من نسبت إليه.

يقول د. اسكندر كيدس - وهو عالم نصراني -: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً.

الأول: أن التوراة الموجودة الآن ليست من تصنيف موسى - عليه السلام -.

الثاني: أنها كتبت في كنعان، أو أورشليم، أي لم تكتب في عهد موسى، حيث كان بنو إسرائيل في الصحارى.

الثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود[3]، ولا بعد زمان حزقيا[4]، بل

---

(١) انظر سفر التثنية، صح ٣١: ٢٤ - ٣٠، صح، ٣٢ حول هذه السورة المسماة بالنشيد في الكتاب المقدس.

(٢) المغربي: السموأل بن يحيى، إفحام اليهود (١٣٧ - ١٣٩)

(٣) حكم داود أربعين سنة من ١٠١٠ - ٩٧٠ ق.م قاموس الكتاب المقدس (٩١٦).

(٤) حكم حزقيا تسعاً وعشرين سنة من ٧٢١ - ٦٩٣ ق.م المرجع نفسه (٩١٧)

أنسب تأليفها إلى زمان سليمان[١] - عليه السلام - والحاصل أن تأليفها بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى - عليه السلام -[٢].

وجاء في دائرة معارف لاروس ما خلاصته: أن العلم العصري - ولا سيّما النقد الألماني - أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة، والتاريخ، وعلم اللغات: أنَّ التوراة لم يكتبها موسى - عليه السلام - وأنها عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية، سمعوها قبل أسر بابل، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كلّ الروايات الإسرائيلية، ولكنها تحتوي على إشارات، ورموز، وحكايات»[٣].

كما أشارت دائرة المعارف البريطانية إلى أنَّ بعض كتب التوراة لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه[٤].

ومما يدعم أن موسى - عليه السلام - لم يكتب هذه التوراة: وجود عبارات فيها تجعل القارىء يوقن بأنها ليست من تصنيف موسى - عليه السلام - فمن ذلك:

* «**وكلّم الرب موسى قائلا..**» وقد تكررت[٥] هذه العبارة في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى - عليه السلام - كثيرا وهذا يعني أن مثل هذه العبارة كتبها واحد غير موسى - عليه السلام - إذ لو كانت من كلامه لقال: وكلّمني ربي.. وخاطبني ربي..، لكن العبارات تفيد بأن الكاتب هو غير موسى - عليه السلام - يخبر عن أشياء قالها الرب لموسى من أوامر ونواه وغير ذلك.

---

(١) حكم سليمان أربعين سنة من ٩٧٠ - ٩٣١ ق.م المرجع نفسه (٩١٦)
(٢) الهندي: إظهار الحق (١: ١١٧)
(٣) انظر ياسين: الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه (١٠٦)
(٤) أبو زهرة: محمد، محاضرات في النصرانية (٦١)
(٥) انظر تكرار هذه العبارة على سبيل المثال في سفر الخروج، صح ٣٠: ١١، ١٧، ٢٢، ٣٤، سفر اللاويين، صح ٤: ١، صح ٥: ١٤، صح ٦: ١، ٨، ١٩

* **ومنها أيضاً**: «فمات هناك موسى عبدالرب في أرض مؤاب.. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات.. فبكى بنو إسرائيل موسى ثلاثين يوماً، فكملت أيام بكاء مناحة موسى»[1].

ولا يعقل أن يكون هذا الكلام كتبه موسى - عليه السلام - ولكنَّه كلام مؤرخ يذكر خبر وفاة موسى، والمكان الذي توفي فيه، ومشاعر بني إسرائيل إثر فقده، وأن قبره غير معروف إلى اليوم الذي يؤرخ الكاتب فيه لهذه الحادثة، مما يؤكد أنه يؤرخ لفترة طويلة مضت.

* **ومنها «ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى...»**[2].

ونرى الكاتب في هذه العبارة يجزم أن موسى - عليه السلام - قد فاق جميع الذين أتوا بعده. فهذه المقارنة بين موسى وغيره من الأنبياء؛ لتدل بوضوح على أن كاتب هذا السفر عاش بعد موت موسى - عليه السلام - بقرون عديدة؛ وإلا لما أمكنه المقارنة، ولما كان بوسعه الإدلاء بمثل هذه الشهادة[3].

* ومن العبارات التي تؤكد أن هذه التوراة لم يصنفها موسى - عليه السلام - بإلهام: أنَّ فيها أسماء لأماكن لم تعرف إلا بعد موت موسى - عليه السلام - بمدة طويلة، مثل: «وتابع إبراهيم أعداءه حتى دان»[4].

وهذا الاسم لم تأخذه المدينة إلاَّ بعد موت يشوع بمدة طويلة[5].

* **ومنها: «فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراه.** حتى إِنَّهُ يقال: اليوم في جبل الرب يرى»[6].

واعترف علماؤهم بأن هذا الكلام ليس من كلام موسى؛ إذ أن هذا الجبل لم

---

(١) سفر التثنية، صح ٣٤, ٥ - ٨
(٢) التثنيه، صح ٣٤: ١٠
(٣) انظر سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة (٢٦٩ - ٢٧٠)
(٤) التكوين، صح ١٤: ١٤
(٥) انظر سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة (٢٦٩ - ٢٧٠)
(٦) التكوين صح ٢٢: ١٤

يطلق عليه «جبل الرب» إلا بعد بناء الهيكل في عهد سليمان - عليه السلام - أي بعد أكثر من أربعمائة وخمسين سنة من موت موسى - عليه السلام -[1].

* ومنها أيضا: «فسمع الرب لقول إسرائيل، ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم، فدعي اسم المكان «حرمة»[2].

واعترف علماؤهم بأنَّ هذا النَّص الحق بعد موت يشوع؛ لأن الكنعانيين هلكوا بعد موت موسى - عليه السلام - إذ هو لم يدخل الأرض المقدسة[3].

وجاء في سفر العدد: «وأمّا الرجل موسى فكان حليماً جداً، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»[4].

فهل يعقل أن يكون هذا الكلام صادراً عن موسى - عليه السلام -؟

والشواهد على كون التوراة لم يكتبها موسى - عليه السلام - كثيرة نكتفي بهذا القدر منها[5].

القول في سفر يشوع بن نون

لم يتفق علماء أهل الكتاب على اسم مصنفه، ولا على وقت تصنيفه وإنْ كان لا يزال ينسب في طبعات الكتاب المقدس إلى يشوع بن نون، ويعنونون السفر باسمه.

ويعترف مؤلفو قاموس الكتاب المقدس أن مؤلف السفر مجهول، وأنه نسب إلى أشخاص متعددين، ومع ذلك فإن كثيرين يتمسكون بالاعتقاد المقبول عند اليهود والكتاب المسيحيين الأوائل من أن يشوع نفسه كاتب السفر عدا الآيات الخمس الأخيرة منه، وبعض آيات أخرى[6].

---

(١) الهندي: إظهار الحق (٢: ٤٧٣)
(٢) العدد، صح ٢١: ٣
(٣) الهندي: إظهار الحق (٢: ٤٧٥)
(٤) سفر العدد، صح ١٢: ٣
(٥) من أراد التوسع فعليه بمراجعة الهندي: إظهار الحق (٢: ٤٦٧) وما بعدها.
(٦) انظر قاموس الكتاب المقدس (١٠٧٠)

يقول صاحب إظهار الحق: «واعترف جامعو تفسير هنري واسكات بأن كتاب يشوع كتب قبل العام السابع من سلطنة داود».

ثم قال: وولد داود - عليه السلام - بعد ثلاثمائة وثمان وخمسين سنة من موت يشوع على ما هو مصرح به في كتب التواريخ التي هي من تصنيف علماء البروتستنت[1].

من خلال ما تقدم يظهر بجلاء أن نسبة هذا الكتاب إلى يشوع غير صحيحة، وأنه لا سند متصل يثبت ذلك، بل الأدلة تدلّ على أن هذا الكتاب - المهم في نظرهم - مشكوك في صحة نسبته إلى من نسب إليه.

سفر القضاة

هذا السفر أيضا لم يعرف مصنفه ولا زمن تصنيفه، واختلف علماؤهم في ذلك على أقوال ستة. وهذا يؤكد فقدان السند المتصل لهذا السفر[2].

جاء في قاموس الكتاب المقدس: وأما القول الوارد في سفر القضاة صح ١٧: ٦ وغيرها، والذي يقول: «وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل». يدل على أن السفر كتب بعد ارتقاء شاول[3] على العرش. وأما كاتب السفر فلا يذكر السفر نفسه اسم كاتبه، ولكن ورد في التلمود: أن الكاتب هو صموئيل النبي»[4].

ومعلوم أن النصارى لا تؤمن بالتلمود ولا تعده كتابا مقدسا.

وإذا كان هذا حال التوراة وسفر يشوع وسفر القضاة - وهي من أهم أسفارهم على هذا النحو - فما بالك بالأسفار الأخرى؟

---

(١) الهندي إظهار الحق (٢: ٤٨٥)

(٢) الهندي إظهار الحق (١: ١٣٤)

(٣) حكم شاول بني إسرائيل اربعين سنة من ١٠٥٠ - ١٠١٠ ق.م قاموس الكتاب المقدس ٩١٦.

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٧٣٧)

إنَّ القول فيها من حيث صحة نسبتها لا يقل عما قيل في هذه الكتب التي يعتبرها أهل الكتاب أساسية، ولها ميزة على غيرها؛ إذ يؤمن بهذه الأسفار جميع أهل الكتاب على اختلاف طوائفهم. وقد عرفتَ أن السامرية من اليهود لا يؤمنون إلا بهذه السبعة أسفار، وينكرون الإلهام في بقية كتب العهد القديم.

هذا وقد تتبع الشيخ رحمة الله الهندي أسفاراً أخرى، وبيّن أن نسبتها إلى أصحابها مشكوك فيها، وأن أهل الكتاب يقولون في هذا الأمر العظيم بالظن والتخمين. ومن أراد الزيادة، فليطلع على ما دونه رحمةُ الله بهذا الشأن[١].

ثانيا: فقدان النسخ الأصلية لكتبهم

يعترف علماء أهل الكتاب أن النسخ الأصلية قد فقدت، وأن الموجود الآن ما هو إلا ترجمات لتلك النسخ، وهذا يقدح في الحُجّية ولا شك.

جاء في قاموس الكتاب المقدس عند الحديث عن نصّ الكتاب المقدس: «أوحى الله بكلمته إلى أنبياء ورسل نطقوا بها حسب اصطلاح اللغات البشرية، **فكان الكاتب الملهم**: إما أن يكتب بنفسه ما **يوحى به إليه**. وإما أن يمليه على كاتب يكتب له.

إلا أنه لم يصل إلينا - بعد - شيء من النسخ الأصلية التي كتبها هؤلاء الملهمون، أو كتابهم. وكل ما وصل إلينا هو: **نسخ مأخوذة عن ذلك الأصل**[٢].

وجاء في دائرة المعارف الأمريكية: «لم تصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ»[٣].

ومما لا شك فيه: أن فقدان النص الأصلي يقدح في الحجية؛ ذلك أن معرفة هل الترجمة طبق الأصل أم لا، لا تتأتى إلا مع وجود النص الأصلي.

---

(١) الهندي إظهار الحق (١: ١٣٥) وما بعدها، وانظر كلام الكثير من علمائهم حول بقية الأسفار ديدات: هل الكتاب المقدس كلام الله (٧٢)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٧٦٣)

(٣) عبدالوهاب أحمد، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (١٩)

وكذلك هل فهم المترجم مرامي العبارات، ومعانيها وروحها؟ فإنه لا يمكن التأكد من ذلك إلا مع وجود النص الأصلي[1].

ثالثا: اختلاف نسخ العهد القديم التي بين أيديهم

النسخ المشهورة عند أهل الكتاب ثلاث نسخ:

الأولى: العبرانية، وهي المعتبرة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستنت، وتشمل على تسعة وثلاثين سفراً.

الثانية: اليونانية، وقد كانت معتبرة عند النصارى إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية، حيث يرى بعض علمائهم: أن اليهود حرّفوا النسخة العبرانية.

جاء في تاريخ يوسي بيس: «ذكر جستن الشهيد في مقابلة طريفون اليهودي عدة بشارات في المسيح، وادّعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة»[2].

والنسخة اليونانية: ما زالت معتبرة عند الكنيسة اليونانية، والكاثوليك لا يزالون يرونها مقدسة واجبة التسليم[3]. وتشتمل على ستة وأربعين سفراً.

الثالثة: النسخة السامرية، وهي المعتبرة عند السامريين، وتشتمل على سبعة أسفار: أسفار موسى الخمسة «التوراة عندهم» إضافة إلى سفر يشوع بن نون، وسفر القضاة.

وهناك اختلاف كبير بين هذه النسخ الثلاث في الألفاظ والمعاني[4].

---

(١) أبو زهرة: محمد، محاضرات في النصرانية (٥٤ - ٥٥)

(٢) انظر اتهام اليهود بالتحريف. الهندي: إظهار الحق (٢: ٥٥٨)

(٣) خلافا للبروتستنت، فهم لا يرون وجوب التسليم بالأسفار الزائدة على النسخة العبرانية. وانظر قاموس الكتاب المقدس (١٩)، حيث فيه ذُكِرُ أسماء هذه الأسفار التي رفضها البروتستنت واعتبرها الكاثوليك مقدسة.

(٤) وقد أشار ابن حزم إلى ذلك. انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢:٢١ وما بعدها وانظر الهندي: إظهار الحق (٢: ٤٣٠)، حيث عَرّف بهذه النسخ، وذكر الشواهد الكثيرة على الاختلاف فيما بينهما. وانظر السقا، أحمد حجازي، من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني.

وقد أشار ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في أكثر من موضع من كتابه «الجواب الصحيح» إلى اختلاف النسخ بقوله: ومما يدل على ذلك: أنك في هذا الزمان إذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة، وجدت بينها اختلافاً في مواضع متعددة»[١].

وقال: «وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد - ﷺ - باسمه ورأيت نسخة أخرى من الزبور فلم أر ذلك فيها»[٢].

وما مِنْ شكّ أن الاختلاف بين النّسخ يطعن في الإلهام والحجية.

رابعا: كتبهم أخذت الحُجيّة على مراحل

كان علماء النصارى القدامى يشكّون في صحّة وحجية بعض كتب العهد القديم[٣]، وهذه الكتب المشكوك فيها هي:

أستير، باروخ، طوبيا، يهوديت، الحكمة، يشوع بن سيراخ، كتابا المكابيين: الأول، والثاني[٤].

مصير هذه الكتب

عقد مجمع لعلمائهم سنة ٣٢٥م أقر بوجوب تسليم كتاب يهوديت[٥].

ثم عقد مجمع آخر سنة ٣٦٤م اعترفوا بقدسية كتاب أستير[٦].

ثم عقد مجمع ثالث سنة ٣٩٧م اعترفوا - زيادة على ما سبق - بـ: كتاب الحكمة المنسوب لسليمان - عليه السلام - طوبيا، باروخ، يشوع بن سيراخ، وبكتابي المكابيين: الأول، والثاني.

---

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣: ٤٠، ٤٢، ٥٠)
(٢) المرجع نفسه (٣: ٥٠)
(٣) وكذلك بعض كتب العهد الجديد
(٤) الهندي: إظهار الحق (١: ١٠٢)
(٥) الهندي: إظهار الحق (١: ١٠٥)
(٦) المرجع نفسه (١: ١٠٦)

ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس أخرى أبقت الأحكام السابقة إلا أنَّ أهل المجلسين الأخيرين فصلوا كتاب باروخ عن أرمياء[١].

وبهذا يكون قد اعترف بقدسية جميع الكتب المشكوك فيها بعد هذه المجالس الثلاثة.

وأصبحت هذه الكتب حجة، وظلت كذلك مدة اثني عشر قرناً من الزمان حتى ظهرت فرقة البروتستنت، وإذا بهم يطعنون في حكم أسلافهم ويردّون الكتب التالية:

باروخ، طوبيا، يهوديت، يسوغ بن سيراخ، وبعضاً من كتاب أستير[٢].

والكنيسة الكاثوليكية - وأتباعها أكثر النصارى من حيث العدد - لا زالت تعترف بهذه الكتب إلى الآن[٣].

فانظر إلى حال كتبهم، وكيف أخذت حجيتها على مراحل، وكيف أن بعض الخلف ردّ ما اعتقده السلف في تلك الكتب، وكيف أن الكاثوليك لا زال كتابهم المقدّس يشتمل على هذه الأسفار السبعة التي ردّها البروتستنت في القرن السادس عشر للميلاد، بعد أن ألزم النصارى بحجيتها مدة اثني عشر قرناً من الزمان.

خامسا: كتبهم وصفت الله - تعالى - بما لا يليق

المتأمل في كتبهم يتعجب كيف يقولون بحجيتها والإلهام فيها، وهي تصف الله - عز وجل - بالكثير من الصفات التي لا تليق بجلاله وكماله سبحانه.

وهل يعقل أن يوحي الله تعالى مثل هذه الصفات لتدوّن في كتب، ولتكون عقيدة عند بني البشر؟

إنَّ من ينسب إلى الله تعالى مثل هذه الأوصاف أحد اثنين:

---

(١) المرجع نفسه (١: ١٠٧)

(٢) المرجع نفسه (١: ١٠٧)

(٣) المرجع نفسه (١: ١٠٨)

إما جاهل بالله وصفاته، وإما زنديق يريد الإساءة إلى الدين.

ومن النماذج التي تضمنتها كتبهم في هذا الشأن:

يوم راحة الرب

جاء في سفر التكوين: أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، لذا جعل اليوم السابع يوماً مباركاً ومقدساً. والنص كما جاء في سفر التكوين:

«فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا»[(١)].

فالذي كتب هذا الكلام يظنّ أنّ الله تعالى يطرأ عليه ما يطرأ على البشر من تعب ونصب عند قيامهم بعمل ما، وتناسى أن الله: «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول: له كن، فيكون»[(٢)].

ومعلوم أن الله تعالى في كتابه المهيمن كذّب فرية أهل الكتاب تلك بقوله: «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لُغوب»[(٣)].

قصة معصية آدم - عليه السلام -

جاء في سفر التكوين: أنَّ الله نهى آدم عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر؛ لئلا يموت. وفي هذا الكلام نسبة الكذب إلى الله تعالى؛ لأن آدم أكل من هذه الشجرة ولم يمت.

ومما جاء في هذه القصة المفتراة: أن آدم لما أكل من الشجرة اختبأ في وسط شجر الجنة، وأن الله - تعالى عن إفكهم - أخذ ينادي آدم ويقول له: أين أنت؟ وأن آدم أخبره أنه اختبأ؛ لأنه عريان. عندها - فقط - عرف الله - على حد

(١) سفر التكوين، صح ٢: ١ - ٣، سفر الخروج، صح ٣١: ١٧

(٢) سورة ياسين: الآية ٨٢

(٣) سورة ق: الآية ٣٨

إفكهم - أن آدم أكل من الشجرة؛ ذلك أن آدم لم يكن يعرف نفسه أنه عريان لو لم يأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

وهذا الكلام فيه وصف لله تعالى بما لا يليق، حيث وصف بالعلم القاصر المحدود، فهو لا يعلم أين آدم، ولم يكن يعلم أنه أكل من الشجرة إلا بعد أن أخبره آدم بأنه عريان.

ويكمل الكاتب روايته المزعومة، بأن الله تعالى عاقب آدم - عليه السلام - لأنه أطاع زوجه التي أغرته بالأكل، وأنه عاقب حواء أيضا؛ لأنها أطاعت الحية التي أغرتها، كما أنه عاقب الحية أيضاً.

أما عقوبة آدم كما جاء في نص السفر: (وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها. ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها؛ لأنك تراب، وإلى تراب تعود».

وأما عقوبة حواء زوجه «وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك».

وأما عقوبة الحية التي كانت أحيل حيوانات البرية:

«فقال الرب الإله للحيَّة: لأنكِ فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك.

وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه»[1]. ونسي هذا الكاتب أن أي أنثى من البهائم تتأذى بالحمل، وتتوجع عند الولادة، وليست المرأة مختصة بذلك فقط.

كما نسي أنَّ كثيراً من مخلوقات الله تعالى غير الحية تسعى على بطنها وتتغذى بالتراب.

---

(١) انظر سفر التكوين، صح ٣: ١ - ١٩

نسبة الحزن والأسف إلى الله تعالى

تنسب كتبهم الحزن والأسف إلى الله تعالى، والسبب في ذلك - على حد إفكهم - إنَّما هو الإنسان. فالله تعالى خلق الإنسان، وإذا به يقترف المعاصي والآثام، لذا قرر الرب سبحانه أن يمحو عن وجه الأرض النّاس الذين عملوا الشر، ويمحو معهم حتى البهائم والطيور.. والنص كما في سفر التكوين: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأني حزنت أني عملتهم»[1].

ففي هذا النص - عدا ما تقدم من نسبة الحزن والأسف إلى الله تعالى - فيه أيضا - نسبة العلم القاصر إليه سبحانه؛ حيث إن الرب - حسب النص - لم يكن يعلم أزلاً أن الإنسان قد يعمل الشر، وإلا لما حزن وتأسف، كما سطّر كاتب هذا السفر.

كما أن كاتب السفر غفل عن أن الله - تعالى - هو الذي خلق الإنسان وجعل فيه القدرة على اختيار الطاعة أو المعصية، ورتّب على ذلك الثواب والعقاب.

مصارعة يعقوب

جاء في سفر التكوين: «...فبقي يعقوب وحده. فصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولمّا رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر.

فقال لا أطلقك حتى تباركني. فقال له: ما اسمك؟ فقال يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل، لأنَّك جاهدت مع الله والناس وقدرت... وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن

---

(١) سفر التكوين، صح ٦ : ٥ - ٧

اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل. قائلاً: لأني نظرت الله وجها لوجه، ونجيت نفسي[1].

والمتأمل في هذا الكلام يرى أن الذي صارع يعقوب ليس بشراً، بل هو الله - تعالى الله عن ذلك -.

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل. أي: وجه الله، لأنه قال: إني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفسي. وكانت هذه الحادثة نقطة تحول في حياة يعقوب، فقد كان حتى - الآن - معتمداً على قوته ودهائه ونجاحه، فتعلّم الآن أن قوته **لا شيء في مصارعة الله**)[2].

ثم إنهم يفسرون اسم إسرائيل كما جاء في قاموس كتابهم المقدس (بأنه اسم عبري، معناهُ «يجاهد مع الله»، أو «الله يصارع»، وقد أطلق هذا الاسم على يعقوب إذ أطلقه عليه الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر)[3].

أما كون الملاك هو الذي أطلق الاسم على يعقوب، وأنه هو الذي صارعه فليس بصحيح. فالنص «وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر...» فلم فُسِّر بملاك؟ ما من شكّ أنه هروب من التفسير الحقيقي للنصّ المزعوم.

ثم إنَّ النص المتداول الآن كما مر «بل تدعى إسرائيل؛ لأنَّك جاهدت مع الله والناس وقدرت...» فهذا تصريح بأنَّهُ جاهد مع الله.

ثم إن يعقوب قال: نظرت الله وجها لوجه، ونجيت نفسي.. فهذا يعني: أنه نظر الله، وأن الله هو الذي صارعه، وأنه نجا. ثم إن يعقوب سمى المكان بـ «فنيئيل» وهي تعني وجه الله على ما جاء في قاموس الكتاب المقدس[4].

قال ابن حزم - رحمه الله تعالى -: «ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل. فثبتوا على أن نص التوراة: أن

---

(١) سفر التكوين، صح ٣٢: ٢٤ - ٣٠

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١٠٧٤)

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٦٩)

(٤) المرجع نفسه (٦٩٨، ١٠٧٤)

يعقوب صارع «الوهيم»، وأن لفظ الوهيم يعبر به عن الملك.

فقلت: سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة ففيه: «كنت قويا على الله فكيف على الناس!»[1].

وفيه: أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة، وسلمت نفسي. ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذا رأى الملك.

وفيه: أنه سمي الموضع «فنيئيل»، لأنه قابل فيه «إيل»، وهو الله بلا احتمال عندكم»[2].

والكلام الذي ساقه ابن حزم فيه اعتراف من اليهود: أن يعقوب صارع «الوهيم» وأنَّ هذه الكلمة تطلق على الملائكة. قلت: إن من أسماء الله تعالى عند اليهود الوهيم. جاء في قاموس الكتاب المقدّس: «يوجد في العهد القديم في اللغة العبرية ثلاثة مترادفات رئيسية لاسم الجلالة، وهي: «الوهيم» و«يهوه»، و«أدوناي»[3].

ثم إن قول ابن حزم: إن «إيل» هو الله عندهم، قول صحيح.

جاء في قاموس كتابهم المقدس: إيل اسم من أسماء الله في العبرية، وتستعمل إيل بمفردها للدلالة على الإله الواحد الحقيقي»[4].

فانظروا إلى هذه الخرافة المسطرة في كتبهم الملهمة على حد زعمهم.

**** كيفية تعرف الرب على بيوت الإسرائيليين**

جاء في سفر الخروج ما نصه: «. . .أن يأخذ كل واحد من بني إسرائيل شاة صحيحة ذكراً. تأخذون ذلك من الخرفان أو المواعز. . ثم يذبحه جمهور جماعة إسرائيل في العشية، ويأخذون من الدم، ويجعلونه على القائمتين،

---

(١) النص الذي رجع إليه ابن حزم يختلف عن النص الحالي. وهذا يعني أنهم غيروا النص فيما بعد كعادتهم

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٣٢ - ٢٣٣)

(٣) قاموس الكتاب المقدس (١٠٧)

(٤) المرجع نفسه (١٤٢)

والعتبة العليا في البيوت التي يأكلون فيها.. فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة، وأضرب كل بكر من الناس والبهائم، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب، ويكون لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر[١].

فالله تعالى - على ما جاء في كتبهم - لا يعرف بيوت الإسرائيليين إلا بعلامة الدم الذي جعلوه على عتبة بيوتهم. وفي هذا نسبة العلم القاصر المحدود إلى الله - سبحانه -.

الرب يظهر لإبراهيم - عليه السلام - على صورة رجل، ويأكل هو والملائكة

جاء في سفر التكوين: «وظهر له الرب وهو جالس في باب الخيمة. فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال فركض لاستقبالهم، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيّد، إنْ كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تجاوز عبدك.

ليؤخذ قليل ماء، واغسلوا أرجلكم فآخذ كسرة خبز، فتسترون قلوبكم، ثم تجتازون؛ لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا: هكذا نفعل، كما تكلمت»[٢].

فقام مسرعاً وهيّأ طعاماً: فذبح عجلاً، وأخذ خبزاً وزبداً ولبناً، ووضع ذلك كله بين أيديهم **فأكلوا**. ثم إنَّ الرب بشَّر سارة بغلام، ولما ضحكت قال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ ثم إن الملكين ذهبا إلى سدوم، وإن إبراهيم ظل قائماً أمام الرب؛ طالباً منه العفو عن أهل سدوم[٣].

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (ويظهر أنَّ الرب نفسه كان واحداً من هؤلاء الثلاثة؛ فإنه يذكر نصاً أن الملكين قد ذهبا إلى لوط في سدوم، بينما كان إبراهيم يتكلم مع الرب)[٤].

---

(١) سفر الخروج، صح ١٢: ٣، ٥، ٦، ٧، ١٢، ١٣

(٢) سفر التكوين، صح ١٨: ١ - ٥

(٣) انظر المرجع نفسه، صح ١٨: ٦، وما بعدها

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٩٢١)

فانظر كيف أنَّ كتبهم تصف الله تعالى بأنَّه يظهر في صورة رجل، وأنه غسل رجليه مع الملكين، وأنه أكل هو والملائكة الطعام الذي قدمه إبراهيم - عليه السلام - إليهم. وهذه صفات نقص يتنزه عنها الباري سبحانه.

والمتتبع لما جاء في كتبهم يجد الكثير من أمثال هذه الخرافات والأساطير. وسيأتي بعد قليل - إن شاء الله - كيف أن الله تعالى يأمر أنبياءه بالغرائب، وهذا ما لا يليق به سبحانه.

سادسا: كتبهم تطعن في أنبياء الله تعالى

ما مِن شك أن أنبياء الله تعالى متصفون بأكمل الصفات البشرية؛ حيث إنهم أكثر البشر معرفة بالله - تعالى - وصفاته، وأوامره ونواهيه.

ومن البدهي، وهم الذين يعرفون ربهم حق المعرفة، أن يكونوا أكثر البشر خشية لله، وأكثرهم عبادة وطاعة له سبحانه.

وكيف لا يتصفون بأكمل الصفات البشرية وأنبلها، والله تعالى هو الذي اختارهم ورعاهم! قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1].

وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[2] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[3].

وكيف لايكونون كذلك وهم الأسوة والقدوة لمن أرسلوا إليهم؟!

لذا فالطعن في أي منهم طعن فيمن أرسلهم واختارهم لتبليغ رسالته.

لذا فالكتب التي تتضمن الطعن في الأنبياء، لا يمكن أن تكون بوحي من الله تعالى، وبالتالي لا يمكن أن تقوم الحجة على الناس بمثلها.

والقاريء لكتب العهد القديم يجد أنها تطعن في أنبياء الله تعالى، وذراريهم، وتصفهم وذرياتهم بأوصاف يترفع عنها أدنى السفلة.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٤

(٢) سورة الحج: الآية ٧٥

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٠

وأحياناً تصف الأنبياء بأنهم يفعلون من الغرائب ما يسبب لهم الحرج بين الناس، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا بوحي من الله تعالى. ومن النماذج التي اشتملت عليها كتبهم:

بنتا لوط تتآمران على أبيهما

جاء في سفر التكوين أن بنتي لوط تآمرتا على أبيهما؛ لتتمكنا من النوم معه لاستبقاء نسل لهما بعدما عمّ الهلاك مدن قوم لوط، وتفصيل القصّة كما سطّرها كاتب سفر التكوين:

(فسكن لوط في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمراً، ونضجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضجعت مع أبيها، ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أنَّ البكر قالت للصغيرة: إني قد اضجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضا، فادخلي اضجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضجعت معه، ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً، ودعت اسمه: موآب. وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم[1].

ويعلق ابن حزم على القصة المفتراة ما خلاصته:

إن قول الكبرى: إنه ليس في الأرض رجل، كذب ظاهر وافتراء. فبين المغارة التي سكنها لوط وابنتاه، والمكان الذي فيه إبراهيم ثلاثة أميال فقط.

ثم كيف لا يعصم الله تعالى نبيه من هذه المؤامرة، وما ترتب على ذلك من الفاحشة ثم الحمل؟! فإن قالوا: لا ملامة عليه، لأنه سكر، فماذا كان موقفه عندما عرف بالحمل، وعندما ولدتا، وعندما رآهما تربيان أولاد الزنى؟[2].

ثمّ إنَّ أفسق بنات المؤمنين لا تفكّر بالإضجاع مع أبيها، فكيف ببنات نبي؟!

---

(١) التكوين، صح ١٩: ٣٠ - ٣٨

(٢) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٢٣ - ٢٢٤)

الأنبياء يرتكبون الكفر - والعياذ بالله -

جاء في سفر الخروج: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّرهُ بالأزميل، وصنعه عجلاً مسبوكا. فقالوا: هذه الهتك يا إسرائيل، التي أصعدتك من مصر. فلما رأى هارون بنى مذبحاً أمامه. ونادى هارون وقال: غداً عيد الرب...»[1].

ثم إن موسى عنف هارون على فعلته وقال له: ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيئة عظيمة؟ فأقر واعترف أنَّهُ هو الصانع للعجل...[2].

فهل يعقل أنَّ هارون - عليه السلام - يرتكب أشد أنواع الكفر، وهو صاحب المنزلة العظيمة على ما تصرح به كتبهم! يا لها من إساءة بالغة إلى أنبياء الله تعالى.

أما سليمان - عليه السلام - صاحب المجد والسلطان، وباني الهيكل يختم عمره بعبادة غير الله تعالى[3].

موسى وهارون - عليهما السلام - عصيا وخانا الرب ولم يقدساه

جاء في سفر التثنية: «وكلَّم الرب موسى قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم الذي قبالة أريحا، وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور، وضمَّ إلى قومه؛ لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في بريّة صين؛ إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل، فإنك تنظرالأرض من قبالتها، ولكنك لا تدخل إلى هناك..[4]

---

(١) سفر الخروج، صخ ٣٢: ١ - ٥

(٢) انظر المرجع نفسه، صح ٣٢: ٢١ - ٢٤

(٣) انظر سفر الملوك الأول، صح ١١: ٤ - ٦

(٤) سفر التثنيه، صح ٣٢: ٤٨ - ٥٢

وهل يعقل أن تصدر الخيانة، وعدم التقديس للرب سبحانه من رسولين كريمين؟!

هارون - عليه السلام - وأخته النبية يغتابان موسى - عليه السلام -

ينسب سفر الخروج إلى هارون ومريم أخته - وهي نبية على ما جاء في كتبهم -[1] أنهما تكلّما على موسى - عليه السلام - بكلام غير مرضي، فعاقب الله تعالى مريم بالبرص، وتوسل هارون إلى موسى أن يطلب لها الشفاء من الله تعالى معترفا بخطئهما وندمهما.[2]

وجاء في قاموس الكتاب المقدس حول هذه الحادثة: (وزعم هارون وأخته مريم أنَّ الله كلَّمهما منددا بزواج موسى من امرأة كوشية، فغضب الرب عليهما، وابتلى مريم بالبرص، فطلب هارون رحمة الرب، واعترف بخطئه، فعفا عنه)[3].

وهذا التفسير الذي جاء في القاموس معناه: أن الله لم يكلمهما في شأن زواج موسى - عليه السلام - من امرأة كوشية، وإلا لما غضب عليهما، وفي ذلك نسبة الكذب إلى هارون ومريم.

الأنبياء لا يلتزمون الأدب في مخاطبتهم الله تعالى

جاء في سفر الخروج: أنَّ الله تعالى غضب على بني إسرائيل لعبادتهم، وأراد أن يفنيهم، فتضرع إليه موسى قائلاً:

لماذا يا رب، يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث، ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك»[4].

ومن ذلك مخاطبة إلياس لربه - سبحانه - عندما أمات ابن الأرملة فتضرع إليه

---

(١) انظر سفر الخروج، صح ١٥: ٢٠ سفر ميخا، صح ٦: ٤

(٢) سفر العدد صح، ١٢: ١ - ١١

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٩٩٥)

(٤) سفر الخروج، صح ٣٢: ١١ - ١٢

أنْ يرد إليه الحياة قائلاً: (أيها الرب إلهي، أيضاً - إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها. . .) ثم طلب من الله أن يحييه فاستجاب له[1].

ولا يعقل أن يتضرع الأنبياء إلى ربهم بمثل هذه العبارات والكلمات، وأن يصفوا الله - تعالى - بمثل تلك الأوصاف: بالخبث، والإساءة.

*** الأنبياء يحتالون ويكذبون**

جاء في سفر التكوين: إن إسحاق - عليه السلام - كبر وضعف بصره، وطلب من ابنه الأكبر عيسو أن يصطاد له، ويطعمه من صيده حتى يباركه أمام الله - تعالى - قبل أن يموت. فذهب عيسو إلى البرية ليصطاد. وكانت رفقة أم يعقوب قد سمعت حديثهما، وأحبت أن تكون البركة لابنها الأصغر يعقوب، فطلبت منه أن يشوي جديين، ويقربهما لأبيه على أنه عيسو، فخشي يعقوب أن يكتشف أمره؛ لأنَّه أملس اليدين، وبالتالي يجلب لنفسه لعنة، لا بركة. فطمأنته أمه، وألبسته ثياب أخيه عيسو الفاخرة، وجعلت على يديه وعنقه جلود المعزى، وقالت:

اذهب بالأطعمة إلى أبيك. ففعل. ولما سأله أبوه إسحاق من أنت؟ أجاب: بأنه عيسو الكبر. وأنه فعل ما أمره به من الاصطياد، وأنه أتى بالصيد، وطلب من أبيه الأكل. ولما تعجب أبوه من سرعة عودته وسأله عن ذلك، أجاب يعقوب: إن الرب إلهك قد يسر لي. فشكّ إسحاق - عليه السلام - وطلب منه أن يقترب منه ليجسّه، ويتأكد أنه عيسو أم لا. فلما جسّهُ قال: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو، فعندها باركه، وطلب من الله تعالى أن يعطيه من دسم الأرض، وأن تستعبد له الشعوب، وتسجد له القبائل، وأن يكون سيدا على إخوته.

ثم إن عيسو لما عاد بالصيد، وعرف إسحاق - عليه السلام - الحقيقة، ارتعد ارتعاداً عظيماً. ولما سأل عيسو أباه أن يباركه هو أيضا، أخبره أبوه بأن يعقوب قد جاء بمكر وأخذ بركتك[2].

---

(١) انظر القصة في سفر الملوك الأول، صح ١٧: ١٩ - ٢٤

(٢) انظر سفر التكوين، صح ٢٧: ١ - ٣٥

ويعلق ابن حزم رحمه الله تعالى على القصّة بما خلاصته:

- إن هذا الفعل بعيد عمَّن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء، فكيف مع نبي مع أبيه النبي أيضاً.
- إن الله تعالى لا يمكن أن يجري حكمه، ويعطي نعمته عن طريق الغش والخداع.
- أي منفعة للخديعة والحيلة وإسحق ما كانت نيته وقصده إلا مباركة عيسو لا يعقوب - عليه السلام -.
- إن هذه القصة تنسب الكذب إلى يعقوب - عليه السلام - في مواضع:

إنه قال: أنا عيسو بكرك. مع أنه ليس عيسو، وليس البكر.

أنه قال: قد فعلت كما كلمتني. قم وكل من صيدي.

وإسحق - عليه السلام - لم يكلمه، ويعقوب لم يأت بصيد أصلاً.

ثم إن الواقع قد كذَّب هذه البركة المزعومة؛ فالأمم لم تخدم يعقوب - عليه السلام - ولا بنيه من بعده، ولا خضعت لهم الشعوب، بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة، وخضعوا للشعوب قديماً وحديثاً في أيام دولتهم وبعدها.

قال ابن حزم: «فإن قالوا: سيكون هذا. قلنا لهم:

قد حصلتم على الصغار قديما والأماني بضائع السخفاء

هيهات.

تُرجّى ربيع أن ستحيا صغارها بخير، وقد أعيا ربيعاً كبارها

لاسيما مع تقضّي جميع الآماد التي كانوا ينبئون بأنها لا تنقضي حتى يرجع أمرهم»[1].

الأنبياء يفعلون الفواحش عن عمد

يروي سفر صموئيل الثاني: أن داود - عليه السلام - عندما كان ملكاً على بني إسرائيل رأى من على سطح بيته امرأة جميلة تستحم، فأعجبته، فأرسل

(١) انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٢٧ - ٢٢٩)

إليها، ثم اضجع معها، وحملت منه. وكانت هذه المرأة متزوجة من رجل يدعى أوريا الحثي، وكان وقتئذ في الحرب يجاهد الكفار.

فلما أعلمت داود بحملها، أرسل لزوجها ليأتي من الحرب وليستريح في بيته. فلما أتى الزوج طلب داود منه أن يذهب إلى بيته ليستريح، فأبت عليه نفسه أن يذهب إلى بيته يأكل ويشرب و.... ورفاقه في الحرب (الجهاد). وحاول داود إقناعه إلا أنه أبى. فأعاده داود إلى الحرب وطلب من يؤاب - رئيس أوريا في الحرب - أن يجعله في الحرب الشديدة، وأن يرجع الجند من ورائه حتى يقتل. ونفذ يؤاب الأمر، وكان بذلك موت أوريا. ثم تزوج داود امرأته من بعده، ثم وضعت حملها، ثم مات المولود بعد مدة. وهذه المرأة هي أم سليمان - عليه السلام - على زعمهم.

ولأجل هذه الفعلة من داود غضب الرب عليه، فهو - على حد زعم الرواية الكاذبة - زنى بامرأة أوريا، ثم تسبب في قتله. فتوعَّد الله داود بأن السيف لا يفارق بيته إلى الأبد، وأن نساءه ستهتك أعراضهن من قبل قريب له، فيضجع معهن في عين الشمس - على حد تعبير كاتب السفر - ومع أن الفعل كان بالسرّ فإنَّ الرب سينتقم ويجعل هذا علانية أمام أعين بني إسرائيل[١].

ونفذ الرب وعيده، فقد زنى أبشالوم بن داود بسراري أبيه علانية، أمام أعين جميع بني إسرائيل[٢].

وما من شك في أن هذه القصة قصة كاذبة، فيها افتراء كبير على نبي من أنبياء الله تعالى، عنده من النسوة العدد الكثير[٣] - على ما جاء في كتبهم - ناهيك عن الإماء.

ثم إن أدنى الموحدين منزلة في الإيمان لا يفكر بمواقعة امرأة زوجها غائب عنها في جهاد الكفار، فكيف بداود - عليه السلام - النبي المرسل؟!

---

(١) انظر سفر صموئيل الثاني، صح ١٢: ٢ - ٢٧

(٢) المرجع نفسه صح ١٦: ٢٢

(٣) انظر اخبار الأيام الأول، صح ١٤: ٣ حيث جاء فيه: (وأخذ داود نساء - أيضا - في أورشليم).

ثم كيف هان على نبي من أنبياء الله التخلص من رجل مؤمن مجاهد لم يرتكب ذنبا، ولم يقترف إثما!

وأخيراً: كيف يتوعَّد الله داود بهتك عرضه، ويجعل تنفيذ ذلك على يد ولد من أولاده علانية؟! إنَّه التلفيق والكذب ولا شك.

* ثم إن كتبهم تذكر قبائح على أنها حصلت في بيوت الأنبياء من قبل ذراريهم:

فأمنون بن داود أحبَّ ثامار أخته لأبيه، لجمالها، وأثّر ذلك الحب فيه تأثيراً يلفت النظر. فأشار عليه أحد المقربين إليه بالتمارض، ليأذن داود - عليه السلام - لثامار بالعناية بأخيها. ولما حضرت لتمريضه أخرج من في البيت. وقهرها وفعل الفاحشة بها. ثم إنَّه بعد ذلك كرهها كرهاً شديداً وطردها. ولما علم شقيقها أبشالوم بذلك دبّر مكيدة قتل فيها أخاه أمنون[١].

ومن ذلك: أن رأوبين - ابن يعقوب - زنى بسرية أبيه بلهة. وأن يعقوب أباه علم بذلك[٢].

وما من شكّ أن مثل هذه الأفعال تستبعد أن تصدر من السفلة، فكيف بأبناء الأنبياء!

إنَّ ذكر مثل هذه الفظائع في كتبهم ليؤكد انتفاء الإلهام والوحي عنها، وإن القاريء ليقف حيران، وهو يحاول معرفة الفائدة من ذكرها.

إن اشتمال كتبهم على أمثال هذه الحكايات الكاذبة المليئة بالفحش جعلت طوائف من النصارى - في هذا العصر بالذات - لا تستقبح مثل هذه الأفعال، لذا لا يعدّ غريباً في نظر النصارى أن تقام أعراس اللوطيين في بيوت العبادة (الكنائس) عندبعض الكاثوليك وغيرهم، بل إن ثمانية آلاف لوطي قاموا بمسيرة استعراضية في حديقة هايدبارك في لندن، في يوليو عام ١٩٧٩م، مصاحباً بهتافات وتشجيع من وسائل الإعلام[٣].

---

(١) انظر سفر صموئيل الثاني، صح ١٣

(٢) انظر سفر التكوين، صح ٣٥: ٢١

(٣) انظر ديدات: أحمد، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ (٦١)

الأنبياء قد يأمرهم الرب - تعالى - بالغرائب

الأمر غير ملفت للنظر عند أهل الكتاب. فالأنبياء قد يفعلون الغرائب بأمر من ربهم.

فها هو أشعيا النبي يسير عرياناً حافياً ثلاثة أعوام، أمام الجميع استجابة لأمر الله تعالى[1].

ولا يمكن لعاقل أن يصدق صدور أمر إلهي لنبي من الأنبياء يؤمر فيه بكشف العورة - حتى المغلظة منها - أمام الناس جميعاً، ولو لفترة قصيرة فما بالك بثلاث سنوات!

وها هو حزقيال - نبي آخر من الأنبياء الكبار عندهم - يؤمر بأن يأكل كعكا من الشعير مخبوزاً على الخرء الذي يخرج من الإنسان[2].

فلما توسل إلى ربه قائلاً: (يا رب، ها نفسي لم تتنجس، ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس، فأجابه الرب بقوله: قد جعلت لك خثي البقر، بدل خرء الإنسان، فتصنع خبزك عليه[3].

وها هو «هوشع» - أحد الأنبياء عندهم - يأمره الربّ - سبحانه - بالزواج من زانية، وينفذ الأمر الإلهي، ويتخذ (جومر) الزانية زوجة له، وتلد له ولدين ذكرين، وبنتا[4].

إن أي عاقل منصف ليقطع أنَّ الله تعالى غني عن إحراج أنبيائه وأصفيائه بين الناس، وهم الذين اختارهم واصطفاهم لتبليغ رسالته.

سابعا: الاختلافات والأغلاط في كتب العهد القديم

القاريء لكتب العهد القديم يقطع بوجود الاختلافات والأغلاط سواء، بين سفر وآخر، أو في نصوص السفر الواحد. ولما كانت النماذج كثيرة اكتفي ببعضها:

---

(١) انظر سفر أشعياء، صح ٢٠: ٢ - ٤

(٢) انظر سفر حزقيال ٤: ١٢، ١٤ - ١٥

(٣) المرجع نفسه: ٤: ١٢، ١٤ - ١٥

(٤) انظر سفر هوشع، صح ١

جاء في سفر التكوين: «ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين، من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى. ومن الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليه، لاستبقائها»[1].

وجاء في السفر نفسه: «ومن البهائم الطاهرة، والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور، وكل ما يدب على الأرض دخل اثنان اثنان إلى الفلك، ذكراً وأنثى، كما أمر الله نوحاً»[2].

وجاء في السفر نفسه أيضاً: من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة، ذكراً وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين، ذكراً وأنثى. ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة، ذكراً وأنثى، لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض».

فهذه ثلاثة نصوص من سفر واحد، يعلم من الأول والثاني منها: أن الله - تعالى - قد أمر نوحاً - عليه السلام - أن يأخذ من كل طير وبهيمة وحشرات الأرض اثنين اثنين ذكرا وأنثى، وأن نوحا - عليه السلام - قد نفذ هذا الأمر، وأدخل اثنين اثنين.

بينما يعلم من النص الثالث: أنَّ نوحاً - عليه السلام - كان قد أمر أن يأخذ من كل بهيمة طاهرة سبعة أزواج سبعة أزواج، وكذلك من كل طير - طاهراً كان أو غير طاهر - سبعة سبعة. أما البهائم - غير الطاهرة - فيأخذ منها اثنين اثنين. وهذا اختلاف في سفر واحد[3].

الاختلاف في أولاد بنيامين

جاء في سفر أخبار الأيام الأول[4]: «لبنيامين: بالع، وباكر، ويد يعئيل. ثلاثة».

---

(١) سفر التكوين، صح ٦: ١٩ - ٢٠
(٢) المرجع نفسه، صح ٧: ٨ - ٩
(٣) الهندي: إظهار الحق ١: ١٧٤، ملكاوي محمد، المناظرة الكبرى ٤٤٠ - ٤٤١
(٤) سفر أخبار الأيام، صح ٧: ٦

وفيه أيضا: «وبنيامين ولد بالع - بكره - واشبيل الثاني، وأخرخ الثالث، ونوحة الرابع، ورافا الخامس»[1].

وجاء في سفر التكوين: «وبنو بنيامين: بالع، وباكر، واشبيل، وجيرا، ونعمان، وإيحي، وروش، ومفيم، وحفيم، وأرد»[2].

وفي هذه العبارات الثلاث اختلاف في أسماء أولاد بنيامين، وفي عددهم أيضا. فيعلم من الأولى: أن أبناء بنيامين ثلاثة.

ويفهم من الثانية: أنهم خمسة.

ويفهم من الثالثة: أنهم عشرة.

ولما كانت العبارة الأولى والثانية من سفر واحد - وهو أخبار الأيام - يلزم التناقض في كلام مصنف واحد.

ثم إن سفر أخبار الأيام قد خالف ما جاء في سفر التكوين. فأين الإلهام في السفرين المذكورين؟![3].

الاختلاف في مدة الجوع التي تأتي إلى أرض داود - عليه السلام -

* جاء في سفر صموئيل الثاني: فأتى جاد إلى داود وأخبره، وقال له: أتأتي عليك سبع سنين جوع في أرضك؟ أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك؟ أم يكون ثلاثة أيام وباء في أرضك؟[4]

* وجاء في سفر أخبار الأيام الأول: «فجاء جاد إلى داود وقال له: هكذا قال الرب: اقبل لنفسك: إما ثلاث سنين جوع، أو ثلاثة أشهر...»[5].

ففي النص الأول: سبع سنين جوع، وفي الثاني: ثلاث سنين. وقد أقر مفسروهم أن النص الأول غلط[6].

---

(١) المرجع نفسه، صح ٨: ١ - ٢

(٢) سفر التكوين، صح ٤٦: ٢١

(٣) انظر الهندي: إظهار الحق (١: ١٦٩)، ملكاوي محمد، المناظرة الكبرى (٤٤٣)

(٤) سفر صموئيل الثاني، صح ٢٤: ١٣

(٥) أخبار الأيام الأول، صح ٢١: ١١ - ١٢

(٦) الهندي: اظهار الحق (١: ١٧٠ - ١٧١) ملكاوي، المناظرة الكبرى (٤٤٣ - ٤٤٤) ديدات: أحمد، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ (٥٣)

الاختلاف في عمر يهوياكين

جاء في سفر الملوك الثاني: «يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم»(١).

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني: «كان يهوياكين ابن ثماني سنين حين ملك، وملك ثلاثة أشهر، وعشرة أيام، في أورشليم»(٢).

وقد غلط آدم كلارك عبارة سفر الأخبار، وأقر بتحريفها؛ لأنَّ سلطة يهوياكين لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر. ثم ذهب أسيراً إلى بابل، وكان في السجن، ومعه أزواجه، والغالب أنَّ ابن ثماني سنين لا يكون له أزواج(٣).

متى جيء بالتابوت؟

جاء في الإصحاح الخامس والسادس من سفر صموئيل الثاني: أن داود - عليه السلام - جاء بتابوت الله بعد محاربة الفلسطينيين.

وجاء في الإصحاح الثالث عشر، والرابع عشر، من سفر أخبار الأيام الأول: أنه جاء بالتابوت قبل محاربتهم(٤).

مُلْكُ الملك سليمان - عليه السلام -

جاء في سفر الملوك الأول: (وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته، واثنا عشر ألف فارس...)(٥)

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني: «وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات...»(٦).

---

(١) سفر الملوك الثاني، صح ٢٤: ٨

(٢) سفر أخبار الملوك الثاني، صح ٣٦: ٩

(٣) الهندي: إظهار الحق (١: ١٧٢)، ملكاوي، المناظرة الكبرى (٤٤٤ - ٤٤٥)

(٤) الهندي إظهار الحق (١: ١٧٣)، ملكاوي، المناظرة الكبرى (٤٤٥)

(٥) الملوك الأول، صح ٤: ٢٦

(٦) اخبار الأيام الثاني، صح ٩: ٢٥

قال آدم كلارك: الأحسن أن نعترف بوقوع التحريف، في العدد نظراً إلى هذه الاختلافات[١].

ويعلق الشيخ أحمد ديدات على ما جاء في هذين السفرين بقوله: «إن مؤلف سفر أخبار الأيام الثاني يجعل لسليمان أربعة آلاف مذود لخيل المراكب..

ولكن مؤلف سفر الملوك الأول كان خيالهُ الملكي أكبر، فقد ضاعف اسطبلات سليمان - عليه السلام - ألفاً بالمائة، فصارت أربعين ألفاً، بدلاً من أربعة آلاف..

وقبل أن يخدعكم قسيس قائلاً: بأن الفرق بينهما هو الصفر الزائد الذي أخطأ في إضافته أحد النساخ، يجب أن أنبهكم إلى أن اليهود لم يكونوا يعرفون شيئا عن الصفر في أيام سليمان.. إن اليهود كانوا يكتبون الأعداد بالكلمات في أعمالهم الأدبية، ولم يستخدموا الأرقام[٢].

تحديد أعمار بني آدم

جاء في سفر التكوين «...هو بشر، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة»[٣].

وهذا غلط واضح، يكذبه وينقضه ما جاء في الإصحاح الخامس من السفر نفسه، حيث إنَّ أعمار من عاش في الزمان القديم كانت طويلة جدا[٤].

عدد المتحاربين

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: «وابتدأ أبيا في الحرب بجيش من جبابرة القتال أربعمائة ألف رجل مختار. ويربعام اصطف لمحاربته بثمان مائة ألف رجل مختار، جبابرة بأس»[٥].

(١) الهندي: إظهار الحق (١: ١٧٩)
(٢) هل الكتاب المقدس كلام الله؟
(٣) سفر التكوين، صح ٦: ٣
(٤) الهندي: إظهار الحق (٢: ٢٦٦ - ٢٦٧)، ملكاوي، المناظرة الكبرى (٤٦٥)، ابن حزم: الفضل في الملل والأهواء والنحل (١: ٢٠٩)
(٥) أخبار الأيام الثاني، صح ١٣ : ٣

وفيه أيضا: «وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف رجل مختار»[1].

وقد أقر بعض مفسريهم بأن الأعداد الواردة غلط، فغيرت هذه الأعداد في نسخ الترجمة اللاتينية إلى «أربعين ألفاً» في الموضع الأول، و«ثمانين ألفاً» في الموضع الثاني، و«خمسين ألفا» في الموضع الثالث. ورضي المفسرون بهذا التغيير، وصحَّحهُ هورن[2].

ولا يعقل أن تكون مثل هذه الاختلافات والأغلاط في كتب سطرها كاتبوها بإلهام[3].

(١) السفر نفسه، صح ١٣ : ١٧

(٢) الهندي: إظهار الحق ٢ : ٢٦١، الملكاوي، المناظرة الكبرى (٤٦٤)

(٣) ومن أراد المزيد فعليه مراجعة إظهار الحق (١ : ١٦٨) وما بعدها، (٢ : ٢٥٧) وما بعدها.

الخاتمة

الباحث في كتب العهد القديم يجد أن دعوى الإلهام والحجية فيها دعوى داحضة، تفتقر إلى البرهان، حيث إنَّ أي كتاب سماوي لا بد أن يتوفر فيه شروط، حتى تتحقق فيه الحجية والإلهام، والعهد القديم يفقد هذه الشروط.

فالسند المتصل مفقود، وكذلك النسخ الأصلية مفقودة.

ثم إنَّ النسخ الموجودة مختلفة فيما بينها في الألفاظ والمعاني.

كما أن كتب هذا العهد أخذت حجيتها وقدسيتها على مراحل، فسلفهم رفض بعض الكتب التي أقرها من أتى بعدهم، ثم إذا بهذه الكتب ترفض ثانية بعد اثني عشر قرناً من إقرارها من قبل البروتستنت.

وأنى لكتبهم الإلهام والحجية وهي تصف الله تعالى بما لا يليق، كما أنها تطعن في رسله الكرام صلوات الله عليهم!

وأخيراً كيف تكون بوحي، وتقوم بها الحجة، وهي مملوءة بالتناقضات والاختلافات والأغلاط!

ما من شك أن هذه الأشياء جميعاً تجعل المنصف يجزم بأن هذه الكتب تفقد ما يدّعونه من الحجية والإلهام فيها.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، عبدالوهاب، أحمد. مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام.
- وافي، علي عبدالواحد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.
- إظهار الحق. الهندي، رحمه الله. ت: د. محمد عبدالقادر. مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العامية والإفتاء - السعودية. ط١، ١٤٠٠هـ.
- إفحام اليهود. المغربي، السموأل بن يحيى. ت. د. محمد شرقاوي. مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء. ط٢، ١٤٠٧هـ.
- الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، ياسين، محمد نعيم. ط٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ابن تيمية. أحمد. ت: د. حمدان الحمدان، د. عبدالعزيز العسكر. ط١ السعودية.
- الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية. د. أحمد حجازي السقا.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم، علي بن أحمد ت: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة. دار الجيل بيروت.
- الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

- الكتب المقدسة في ميزان التوثيق. طريقة، عبدالوهاب، دار السلام للطباعة والنشر. ط١، ١٤١٠هـ.
- قاموس الكتاب المقدس. هيئة التحرير: د. جون طمسن، إبراهيم مطر. منشورات مكتبة المشعل، بيروت، ط٦، ١٩٨١م.
- محاضرات في النصرانية. أبو زهرة، محمد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط٤، ١٤٠٤هـ.
- المسيح في مصادر العقائد الغربية. عبدالوهاب، أحمد. مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٨هـ١٩٧٨م.
- مقدمة تفسير ابن كثير.
- المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندي ود.فندر. تحقيق وتعليق د.محمد عبدالقادر ملكاوي. دار ابن تيمية للنشر - السعودية ط١، ١٤٠٥هـ.
- هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ديدات، أحمد. ترجمة: نورة أحمد النومان، نشر مكتبة التوعية الإسلامية.

The Claim of Authoritativeness and Inspiration of the Old Testament: An Attempt of refutation

Dr. Naji Muhammad Dawoud Salaamah

Studying the books of the Old Testament reveals that the claim of authoritativeness and inspiration attributed to these books is easily refutable and that it lacks proofs. To prove the authoritativeness and Inspiration of any heavenly scripture. there must be some conditions and prerequisites such as a complete and uninterrupted authentic chain of transmission and the availability of a true original text. These two conditions are missing in the case of the Old Testament.

The available copies of that scripture have many differences in words and meaning. Also, The books of that Testament had acquired their authoritativeness and holiness gradually along successive periods: some of these books which had been refused by some earlier clerics were accepted later by others, then they were refused again by the Protestants after twelve centuries acceptability.

Moreover how can these books be of authoritativeness or inspiration while they are ascribing to Alah, the Exalted, unbefitting attributes and defaming His noble Messengers (May Allah's Peace be upon them!)?!

Finally, how can these books be inspired or authhoritative with all the discrepancies, differences and errors dominating them?!

No doubt, all these facts would lead any unbiased researcher to assert that these books lack the authoritativeness and inspiration claimed to them.